International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA
Volume 4, Issue 2, 2022

The ethnological approach: The concept, methods, goals, and their importance in studying living artistic spaces

Dr. Nisreen Al-Ahwal

University of Basra, Iraq

Received: 6/3/2022
Revised: 2/4/2022
Accepted: 6/5/2022
Published online: 9/6/2022

* *Corresponding author:*
Email: nesrine_music@hotmail.com

https://doi.org/10.65811/428

Citation: *Al-Ahwal, N. (2022).* The ethnological approach: The concept, methods, goals, and their importance in studying living artistic spaces. *International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 4(2).*

©2022 TheAuthor(s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license. https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences: Issn Online 2706-8455

Abstract

This research main orientations are based on highlighting the importance of the ethnocentric approach in social studies, precisely in cultural anthropology researches , through its study of the lively spectacular shows. This paves the way for us to focus on its methods, objectives, and scientific and practical mechanisms. This will enable us not only to re-understand these live performative artistic phenomena but also to search for new methodological ways that make our folk cultural revolutions in line with the changes occuring in the rhythm of modern life.

Keywords: Ethnoscience, concept, methods, and live artistic performances.

المقاربة الاتنوسينيولوجية: "المفهوم والمناهج والاهداف واهميتها في دراسة الفرجات الفنية الحية"

د. كوثر عبد الاحسان

الملخص: : إن توجهاتنا الأساسية في هذا المبحث تنطلق من إبراز أهمية المقاربة الاتنوسينيولوجية في الدراسات الاجتماعية وبالتحديد في مباحث الأنثروبولوجيا الثقافية من خلال دراستها للاحتفالات الفرجوية الحية. لنقف بذلك على مناهجها وأهدافها وآلياتها العلمية والعملية لإعادة فهم هذه الظواهر الفنية الآدائية الحية والبحث عن سبل منهجية جديدة تجعل من مأثوراتنا الثقافية الشعبية الفرجوية تتماشى والتغيرات الحاصلة في ايقاع الحياة العصرية.

الكلمات الدالة: الاتنوسنيولوجية، المفهوم، المناهج، الفرجات الفنية الحية.

المقدمة

شهدت العلوم الإنسانية تطورا كبيرا في مناهجها العلمية والمفاهيم التي تقوم عليها مقارباتها البحثية ففرضت نفسها في المجال العلمي وانتهجت مناهج علمية دقيقة في دراساتها ومباحثها، مما أهلها لأن تنفتح على العالم وتمكن الباحثين من اليات علمية لدراسة مجتمعاتنا الإنسانية برؤى متجددة ومقاربات تساير التطورات والتحولات المجتمعية المتنوعة والحاسمة. وقد أدى هذا إلى بروز خطاب متجددا ينطلق من تراثنا وهوتنا لينفتح على العالم والاخر المتعدد الاختصاصات والانتماءات والتأويلات.

وتعد المقاربة "**الاتنوسينيولوجة**" من أهم وأحدث المقاربات البحثية في مجال العلوم الاجتماعية والبحث العلمي المتصل بمجال علم الاجتماع الثقافي والأنثروبولوجيا الثقافية وبالتحديد أنثروبولوجيا المسرح. وتدرس **الإثنوسينولوجيا** الثقافة الشعبية والفرجات الفلكلورية المتنوعة في مفرداتها ومكوناتها وتلاقحها واندماجها وعطاءاتها. فتبحث في الأشكال الفرجوية الفطرية العريقة والأصيلة المختلفة عن بنية المسرح الغربي الأرسطي. أي إنها تدرس مجموعة من الفرجات الإنسانية والأشكال الثقافية والظواهر الإبداعية الفردية والجماعية والتي قد تحمل في طياتها فنيات أسلوبية وتقنية تحوي ابتكارات إجرائية وتقنية وجمالية، وذلك على مستوى الأداء والتعبير والتشكيل. والغرض من كل ذلك هو الفهم الجيد للبعد الجمالي المركب الذي تقوم عليه الفنون المشهدية الإنسانية الحية في كل مظاهرها الثقافية والأدائية، والتي تتضمن في طياتها، بشكل من الأشكال، تعابير درامية، وتحوي لوحات طقوسية ومشاهد مسرحية صالحة لأن تكون مصدرا للمعرفة والإبداع.

وقد أولت الاتنوسينيولوجيا كمقاربة جديدة نسبيا اهتماما بالغا بالممارسات الفرجوية الشعبية، فطورت من وسائل البحث والتحليل على اعتبار أن الأشكال التي تدرسها وتخضعها لمناهجها تعد مأثور شعبي يوثق تاريـخ حضاري لمجتمع ما. وفقا لهذا المنظور كان من الضروري التخلي عن البعد الواحد في استراتيجيات البحث العلمي لهذه الموضوعات واعتماد منظور تعدد فيه المقاربات، وبذلك تجاوزت هذه المقاربة مقاربة الانثروبولوجيا الكلاسيكية للفنون الادائية.

سنحاول من خلال هذا المبحث إبراز أهمية المقاربة الاتنوسينيولوجية في الدراسات الاجتماعية وبالتحديد في مباحث الأنثروبولوجيا الثقافية من خلال دراسة الاحتفالات الفرجوية في إطارها الحي، والإقرار بأهمية دراستها دراسة متعددة الاتجاهات لا تضعنا في دائرة تكرار واجترار القديم وإعادة عرضه كما هو. لنقف من خلال هذه الدراسة على مفهوم الاتنسينيولوجية وأهدافها ومناهجها وآلياتها العلمية، وأهميتها في دراسة الإحتفالات الفرجوية الحية.

I. مفهوم الاتنوسينيولوجي

ويتكون مصطلح الاتنوسينيولوجيا Ethnoscenology والذي بلوره الباحث المسرحي الفرنسي جان ماري برادي (Pradier, La scène et la fabrique des corps, Janvier2000, p. 41) من كلمة الإثنو (Ethno)، والتي تحيل على العرق والأصل والهوية والجذور والثقافة الشعبية، وكلمة (scéno) أو سكينو (skenos)الإغريقية، والتي تحيل على كلمة، (scène)، وذلك بمعنى المشهد الفرجوي، وقد يقصد بها أيضا الفضاء المغطى، أو المكان الذي تعرض فيه الأحداث المسرحية، أو يقصد بها الجسد بصفة عامة. ويعني هذا المصطلح المركب أن الإثنوسينولوجيا تهتم بدراسة الفرجات المشهدية لدى الشعوب القديمة، وذلك باعتبارها ظواهر ثقافية اجتماعية وإثنوغرافية، تعبر من خلالها عن رؤيتها للوجود والإنسان والحياة والكون والطبيعة والقيم والمعرفة، كما تعكس كذلك طبيعة التفكير لدى الإنسان القديم، وطريقة تعبيره وتخييله وانفعاله وتحركه، وكيفية تعامله مع الموضوع الخارجي على المستوى الفني والجمالي والفلكلوري.

تدرس الإثنوسينولوجيا (L'ethnoscénologie)، وذلك حسب جان ماري برادي Jean-Marie PRADIER، (Pradier, La scène et la fabrique des corps, Janvier2000, p. 44) مختلف الممارسات الفرجوية والسلوكيات الإنسانية في مختلف ثقافات شعوب العالم، وذلك في أشكالها المنظمة وصيغها المقننة. أي إنها تدرس الفرجات الشعبية القديمة والأشكال التعبيرية الثقافية الأصيلة. وبالتالي، فهي تدرس جميع ثقافات شعوب العالم ذات الطابع الفلكلوري بدون استثناء، ولاسيما التي لم تعرف فن المسرح بالمفهوم الغربي لكلمة المسرح.

وبتعبير آخر، فالإثنوسينولوجيا مجموعة من الفرجات الفطرية والثقافات الأثنية المتنوعة، وهي كذلك مجموعة من الأنشطة الإنسانية الحية المتنوعة، ومجمل الفنون المشهدية الاحتفالية والظواهر البشرية سواء أكانت فردية أم جماعية، والتي يغلب عليها الطابع المشهدي المنظم. وفي إطار هذه الأنشطة والفنون الشعبية، يمكن الحديث عن الألعاب، والأعياد، والاحتفالات، والطقوس، والحركات الصامتة، والرقص، والموسيقى، والرياضة، والجسد، والتراجيديا، والكوميديا، والفكاهة، والأمكنة الدرامية المفتوحة وفضاءات الهواء الطلق...

تبحث الإثنوسينولوجيا في الأشكال الفرجوية الفطرية العريقة والأصيلة المختلفة عن بنية المسرح الغربي الأرسطي. أي إن مجموعة من الفرجات الإنسانية والأشكال الثقافية والظواهر الإبداعية الفردية والجماعية قد تحمل في طياتها فنيات أسلوبية وتقنية، وأفكارا جادة وهامة، ومتعة جمالية، ويمكن أن تتضمن كذلك معارف بيداغوجية تطبيقية، وتحوي ابتكارات إجرائية وتقنية وجمالية، وذلك على مستوى الأداء والتعبير والتشكيل (Jean-Marie, la profonde des émergences, 1996, p. 48)

II. تاريـخ تطور الاتنوسينيولوجي

وقد ظهرت اليوم عدة مراكز للبحث الإثنوسينولوجي تهتم بالفرجات الشعبية العرقية الأصيلة سواء في دول الشمال أم في دول الجنوب كفرنسا، والبرازيل، والمكسيك، والنمسا، وتونس (المعهد العالي للفن المسرحي) ... ذلك بتنسيق مع اليونسكو وجامعة باريس الثامنة. وكانت بداياتها الأولى بمختبر الأبحاث المتخصص في دراسة الممارسات الفرجوية الإنسانية الحية بجامعة باريس الثامنة، وذلك بفانسان سانت دونيسVincennes Saint Denis.

وارتبطت انطلاقتها الأولى أيضا بمنظمة اليونسكو، ودار ثقافات العالم التي كانت تعنى أيما عناية بكل ثقافات شعوب العالم تنظيرا وتطبيقا وبحثا وعرضا، واقترنت كذلك بمجموعة من الأساتذة والباحثين البارزين، مثل: جان ماري برادي Jean-Marie Pradier ، وجان دوفينو Jean Duvignaud، وأندري مارسيل دانس André Marcel d'Ans، وشريف خازنادار Cherif Khaznadar ، وفرانسواز كروند

Françoise Gründ، وجيلبير روجي Gilbert Rouget ، وباتريس بافيس Patrice Pavis ، وكلود بلانسون Claude Planson وغيرهم... وبعد ذلك، انضم إليهم مجموعة من الأساتذة والباحثين الجامعيين من داخل فرنسا وخارجها، وخاصة الأساتذة الجامعيين البرازيليين، ومنهم على سبيل الخصوص : أرمينـدو بياو Armindo Biao...

ويلاحظ أن هذا التخصص الجديد قد شارك في بلورته مجموعة من الباحثين في مجالات ثقافية متنوعة، فهناك من يشتغل في مجال المسرح مثل: جان ماري برادبي، وهناك من يهتم بسوسيولوجية المسرح كجان دوفينو، وهناك من يعنى بالأنتروبولوجيا كأندري مارسيل دانس...

هذا، وقد نظمت شعبة الإثنوسينولوجيا بالجامعة الفرنسية، وذلك بتعاون مع اليونسكو ودار ثقافات العالم، مجموعة من الندوات والمؤتمرات الثقافية والفكرية والمعرفية والبيداغوجية حول الإثنوسينولوجيا، فجمعت ضمن شبكتها المعرفية مجموعة من الباحثين من مختلف بلدان العالم، وذلك في تخصصات علمية شتى كعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الموسيقى، والتاريـخ، والأنتروبولوجيا، والبيولوجيا، وعلم الأعصاب، واللسانيات، والعلوم، والتكنولوجيا، والسيميوطيقا، وعلم الرقص الفطري، بعض من فروع الأنشطة الفيزيائية والرياضية.

"الاتنوسينيولوجي" مصطلح علمي جديد ظهر سنة ١٩٩٥ على إثر ندوة رسمية جرت في مقر اليونسكو في باريس في ٣ ماي ١٩٩٥.ليتطور هذا الاختصاص في غضون ثلاث سنوات فقط، من خلال تنظيم الندوات (Cuernavaca (المكسيك) في حزيران / يونيه ١٩٩٦، سلفادور (البرازيل) في عام ١٩٩٧ وباريس (فرنسا) في عام ١٩٩٨. وكذلك انجاز العديد من رسائل الدكتوراه في اختصاص الاتنوسينيولوجي ethnoscenology. وتنظيم دورات متخصصة للدراسة والبحث والتكوين في هذا الاختصاص من قبل الجامعات الكبرى ولاسيما في جامعات السلفادور ديباهيا (البرازيل) و باريس٨(فرنسا). (الأحول، ٢٠١٣). تأثرت الإثنوسينولوجي L'ethnoscénologie ، بالإثنوموسيقى L'ethnomusicologie ، أو ما يسمى كذلك

بموسيقى الشعوب الأصيلة، والتي ظهرت بدورها في فترة مبكرة قبل ظهور الإثنوسينولوجيا. ولم تظهر الإثنوسينولوجيا إلا من أجل إدراك الظواهر الفنية الادائية الفطرية، ومعرفة مكوناتها الفنية والجمالية فرجويا وثقافيا وأنثروبولوجيا.

III. مجالات الاتنوسينيولوجي

تدرس**الإثنوسينولوجيا** الثقافة الشعبية والفرجات الفلكلورية المتنوعة في مفرداتها ومكوناتها وتلاقحها واندماجها وعطاءاتها. فتبحث في الأشكال الفرجوية الفطرية العريقة والأصيلة المختلفة عن بنية المسرح الغربي الأرسطي. أي إنها تدرس مجموعة من الفرجات الإنسانية والأشكال الثقافية والظواهر الإبداعية الفردية والجماعية والتي قد تحمل في طياتها فنيات أسلوبية وتقنية، وأفكارا جادة وهامة، ومتعة جمالية، ويمكن أن تتضمن كذلك معارف بيداغوجية تطبيقية، وتحوي ابتكارات إجرائية وتقنية وجمالية، وذلك على مستوى الأداء والتعبير والتشكيل ((Jean_Marie), la (profondeur des émergences, 1996, p. 50

IV. اهداف الاتنوسينيولوجي

من المعلوم أن للمقاربة الإثنوسينولوجية مجموعة من الأهداف والغايات القريبة والمتوسطة والبعيدة، ويمكن حصرها في الأهداف التالية: (PRADIER J.-M. 84-96، (p. 6/7

- ✓ المحافظة على التراث الثقافي اللامادي الذي تركته البشرية للأجيال القادمة.
- ✓ دراسة الثقافة الشعبية الفطرية في بعدها الفرجوي والدرامي والاحتفالي بنية ودلالة ومقصدية.
- ✓ الدفاع عن التنوع الثقافي، حيث تهدف المقاربة الإثنوسينولوجية إلى مناصرة التنوع الثقافي، باعتباره مسميا أساسيا للحضارة البشرية، مع رفض كل أشكال التغريب والاستلاب والتدجين والمسخ والتشويه، ورفض عولمة الثقافة. وبالتالي، تأبى هذه المقاربة أن تسحق ثقافات الشعوب الأصيلة والعريقة، وذلك باسم التغريب، واستخدام القوة والعلم والتكنولوجيا.

- ✓ جمع جميع أشكال الفرجات الثقافية المتلاشية والمبعثرة والمتناثرة، والتي أوشكت على الاندثار، والعمل على تدوينها ورقيا ورقميا وإعلاميا وبصريا، وتوثيقها توثيقا علميا، مع تسجيلها، بطبيعة الحال، وطبعها ونشرها، بغية استثمار نتائجها معرفيا وبيداغوجيا.

- ✓ دراسة الممارسات الفرجوية الشعبية الفطرية دراسة اجتماعية وإتنولوجية وأنتروبولوجية ولسانية وتاريخية ونفسية، وذلك بالتركيز على معطياتها الفنية والجمالية والمشهدية، ودراسة أشكالها التعبيرية سواء ارتبطت بالرقص أم بالموسيقى أم بالجسد.

- ✓ مقاربة تلك الظواهر والممارسات الفرجوية العريقة مقاربة علمية، وذلك على ضوء مناهج متعددة، وعلى ضوء الإمكانيات المتوفرة.

- ✓ اكتشاف الآخر عبر هذه الفرجات الدرامية، ومعرفة ثقافته الموروثة، وطريقة تفكيره، وطبيعة اعتقاداته، ونمط ذوقه، وطريقة التعامل مع الذات والموضوع.

- ✓ معرفة أنماط التخييل الفني والجمالي وطرائق التعبير لدى شعوب العالم، وذلك أثناء حديثها عن الهوية أو التعددية، أو الدعوة إلى الانسجام الثقافي، واحترام ثقافات الشعوب الأخرى.

- ✓ العمل على الجمع بين عدة تخصصات، مثل: الإثنولوجيا والأنتروبولوجيا، والمسرح، والموسيقى، والرقص، من أجل فهم الفرجة القديمة، وإدراك الظواهر الدرامية الإنسانية في شتى تمظهراتها التعبيرية والفنية والجمالية

V. مناهج الاتنوسينيولوجي

وترتكز مناهج الإثنوسينولوجيا خلال دراسة الفرجات الحية على مجموعة من المبادئ النظرية والتطبيقية، ويمكن حصرها في النقط التالية: (, (Jean-Marie Ethnoscénologie : la profondeur des émergences, in : La scène et la (terre, internationale de l’imaginaire N°5, 1996, p. 13/40

- ✓ مقاربة الظواهر الثقافية الإثنوغرافية، وذلك باعتبارها فرجات شعبية وممارسات أدائية احتفالية.
- ✓ تحديد مكونات الأشكال الفرجوية، وترسم طرائق اشتغالها، وتتبع تطورها أو نقواصها.
- ✓ رصد الأشكال التعبيرية والفرجات المسرحية في أبعادها التاريخية والأنتروبولوجية والفلسفية، مع تحديد بنياتها الشكلية، واستخلاص عناصرها البنيوية والسيميائية الثابتة والمتغيرة، كأن ندرس الحضرة الطريقة الصوفية "العيساوية" مثلا، وذلك بمعرفة تاريخها، ورصد مكوناتها السيميائية اللفظية وغير اللفظية، وتعرف بناها الفنية والجمالية والكوريغرافية والإيقاعية، وتحليل خطابها الدلالي، واستقراء أبعادها الأنتروبولوجية والطقسية والفلسفية، وعلاقة تلك الفرجة الاحتفالية بالإنسان والمجتمع.
- ✓ معرفة كيفية استثمار أشكال الفرجات الفطرية أو محتوياتها التراثية، والإفادة من بعض أجوائها لتطعيم العرض المسرحي بمزيد من الأصالة والثراء والتأسيس.
- ✓ الاعتماد على منهجية الملاحظة والإدراك والوصف والتحليل والتأويل، ووصف الأشكال الفرجوية بطريقة علمية موضوعية.
- ✓ البحث عن الفني والجمالي والدرامي في تلك الظواهر الفرجوية الثقافية الأنتروبولوجية، سواء أكانت تلك الظواهر بسيطة أم مركبة.
- ✓ دراسة تلك الفرجات الشعبية الفلكلورية على ضوء مناهج علمية متعددة ومتداخلة، وذلك من أجل تكوين فهم أدق وأعمق بجماليات الفرجة، ومعرفة طرائق اشتغالها أداء وعرضا وفضاء وجسدا وتصويتا وتنغيما.
- ✓ التعامل مع الممارسات الفرجوية الإثنوغرافية، وذلك باعتبارها ظواهر رمزية وسيميائية، وأشكالا علاماتية تستوجب الوصف والتفكيك والتركيب.
- ✓ ربط الفرجة الفلكلورية بكل مكوناتها الجسدية والموسيقية والحركية وطقوسها الأنتروبولوجية والمشهدية.

- ✓ البحث عن مواطن الإبداع والأصالة في تلك الممارسات الفرجوية الشعبية الاحتفالية ذات البعد اللامادي.

هكذا يتضح لنا أن الاتنوسينيولوجي هي الدراسة التي تعنى بالسلوك البيولوجي والثقافي للمؤدي داخل فرجة ما، أي الشخص الذي يشغل حضوره الجسدي والروحي حسب مجموع الطقوس والعادات التي تختلف عن الممارسة العادية. ينطلق" باربا" في تحليله لحركات المؤدي من مبدأ "قبل تعبيري" أي أن جسد المؤدي يتعرض لمبادئ كونية هي نفسها التي تجعل هذه الحركة مفهومة لدى المتلقي الأجنبي (Eugénion Barba et Nicola Savarese, 1995, p. 34)

يعتبر (Patrice(Pavis), 1996, p. 253 Pavis) أن كل ممارسة فرجوية ليست فقط منتوجا استيتيقيا، وإنما هي أيضا فعلا اجتماعي، فمجموع حركات المنجز يمكن مقاربتها انطلاقا من الثقافة التي ينتمي إليها هذا الأخير لأنها وليدة سلوك اجتماعي. فالمؤدي يسترجع-وعيا أو بغير وعي-حركات مقننة أو تلك التي أصبحت طقسية داخل الممارسة الاجتماعية اليومية. وتتمظهر الثقافة إذا في مجموع التقنيات الجسمانية (Technique) du corps المصطلح هنا لـ Mauss كطريقة التفكير، طريقة الانفعال، اللمس، النظر، الخ... فرغم البعد الكوني لهذه الممارسات نلاحظ اختلافا خاصا بالانتماء إلى فئة اجتماعية معينة. والانثروبولوجي الدنماركي Hastrup يسمى مجموع هذه العمليات "المعرفة المدمجة" Connaissance incorporée.

VI. الاتنسينيولوجي والفرجات الحية

لقد وضع مصطلح "Ethnoscenology» من قبل الباحثين في مجال انثربولوجيا المسرح كتعبير علمي جديد لتجنب أي شكل من أشكال التمركز الثقافي في دراسة فنون الأداء والممارسات الثقافية والتاريخية والاجتماعية في الدراسات الاثنية للأداء «(ethnodrame (collectifs, La scène et la terre, 1999, p. 30 " في المسرح وأنثروبولوجيا المسرح وكذلك في علم السلالات البشرية. بحيث يجمع الاتنوسينولوجي (collectifs, La scène et la terre, 1999, p. 31) التخصصات العلمية المكرسة لاستكشاف وتحليل السلوك البشري ، لاسيما الأخلاقيات وعلم النفس وبيولوجيا الأعصاب والعلوم المعرفية والأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية

والمهارات الأدائية المادية والغير مادية لنموذج المحلي .بحيث تعتمد الإثنوسينولوجيا في دراساتها للفرجات الفطرية والفنون المشهدية على مجموعة من المعارف والعلوم النظرية والتطبيقية بشكل مندمج ومتداخل، كالإثنولوجيا، والأنتروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والبيولوجيا، وعلم الأعصاب، واللسانيات، والسيميوطيقا، والتاريـخ، والجغرافيا، والاقتصاد، والفيزياء، والرياضة البدنية، والموسيقى، والرقص، وعلم المسرح، وعلوم الدين، والفلسفة، والمناهج النقدية الأدبية، والثقافة الشعبية(الفلكلور).

ويعني هذا أن الإثنوسينولوجيا (PRADIER J.-M., aspects de l'apprentissage 1996, p. 84/96 ,) علم مركب من مجموعة من التخصصات والشعب العلمية المتداخلة، والتي تسمح بفهم الظواهر الثقافية اللامادية، وتفسيرها وتحليلها وتأويلها بطريقة شمولية وكلية، وذلك على أسس علمية، وعلى ضوء مناهج موضوعية ، تحد بحال من الأحوال، من طغيان النزعة الذاتية ذات البعد الانطباعي أو الانفعالي وتجنب كل تمركز إثني ضيق لا يعترف بما لدى الآخرين من أصالة وا بتكار وإبداع وتفادي التصورات العرقية الشوفينية التي قد ترجح عرقا على باقي الأعراق الإنسانية، وذلك باسم القوة والسلطة والعلم والعقل والتكنولوجيا. لتسعى بذلك إلى أن تأخذ في الاعتبار جميع الأنواع الثقافية المتميزة، مشاركة في التطوير التدريجي للعامة. وبذلك تحاول هذه المقاربة الاتنوسينيولوجية أن تدرس الممارسات الفرجوية انطلاقا من"الثقافة الأم" وبذلك تبتعد كل البعد عن استنساخ النموذج الغربي كمرجع أساسي لدرستها.

ونتيجة لذلك وقع اعاده نظر في مجموعة من المصطلحات المتصلة بالممارسات الفرجوية وأهمها مصطلح " **الفرجوي** Spectaculair (شاكر)، ٢٠٠٢، صفحة ١٥١/١٥٠/١٤٩) أصبح موضوع تساؤل الباحثين فاقترحوا استعمال مصطلح "**الانجاز**"Performance الذي أحدثه Grotowski.J و"**المنجز**" Performer أي أن **المؤدي** له قدرة على **انجاز** معرفة. بذلك فإن الهدف من المقاربة الاتنوسينيولوجية ethnoscenology ليس مجرد اقتراح لجرد وصفا للأشكال، ولكن لتحديد ما يحدث عند الأداء. والهدف من ذلك هو دراسة الممارسات البشرية الفرجوية المنظمة وفهم الهياكل والعلاقات التي توحد أشكالها المختلفة. والأهم من

ذلك هو إضفاء مصطلح "التنظيم" على الممارسة. والعبارة بالكامل دراسة "سلوك انساني فرجوي منظم"Comportement humains spectaculaire organises. وهي بذلك تجعل هذه الأعمال ممارسات منطقية، منظمة بدل اعتبارها ممارسات اعتباطية عشوائية. وبذلك فان الاتنوسينيولوجي تهتم بالعلاقة التي تربط أشكال الفرجة بمحيطها (Jean-Marie، Ethnoscénologie: la profondeur des émergences، in: La scène et la terre، 1996، صفحة ١٣/١٤). أي دراسة **ذات المؤدي** وعلاقتها بمحيطها القريب (المتلقي) أو المحيط الشامل أي الثقافة التي تنتمي إليها المجموعة.

فالاتنوسينيولوجي لا تعني التمحور حول الذات Ethnocentrisme، بل تنسب جذورها إلى (Marcel Mauss 1936) الذي كان من الأوائل الذين دعوا إلى دراسة الإنسان "الشامل" L'homme global ، ولهذا الأخير الفضل في اعتبار أن كل ممارسة إنسانية من مأكل ومشرب أو ملبس، أو تلك التي تبدو للعين المجردة ممارسة تلقائية، أحيانا عشوائية هي في الأصل ناتجة عن عملية تثقيفApprentissage culturel وفي هذا الإطار عندما نتحدث عن الممارسة الثقافية بمعنى culture performance فإننا لا نحصر موضوع الدراسة في فنون الخشبة المسرحية و إنما نحيل أيضا بالذكر "الثقافة الشعبية، وخاصة منها الطقوس والعادات. وكل هذه الأنواع من الفرجة هي بالأساس ممارسات تحمل علامات ورموز الثقافة التي تنتمي إليها وهو ما أطلق عليه Kisten Hastrup"معرفة مدمجة" connaissance incorporée (بشرى، ٢٠٠٢، صفحة ١٥٠/١٥١) أي أن الثقافة تؤثر في جسد المؤدي، حركاته وسلوكه، وفي نفس الوقت تؤثر في جسد المتلقي واستجاباته.

VII. الاستنتاجات

وانطلاقا مما قدم ناقف على ان الاتنوسينيولوجي تدرس الفرجات الحية والفنون الادائية التي تؤثث الاحتفالات الشعبية في الفضاءات المفتوحة باعتبارها فنون ادائية وتعابير فنية تلقائية تمارسها فئة محددة بصفة تلقائية، فالجانب الأكثر تعبيرا للفنون الأدائية التي تأثث احتفالات الجماعة، هو وظيفتها التي ترتبط بالبيئة الاجتماعية والثقافية، وكذلك الدور الذي تلعبه في حياة الفرد الذي ينتمي إلى مجموعة أو شعب

يشاركه اللغة والعادات والمعتقدات وغير ذلك. لهذا ظل الاحتفال إلى حد اليوم أكثر الوسائل التعبيرية تلقائية وصدقا، بحيث يمثل الشمولية والآنية وجماعية الإحساس والفهم والتعبير. وعدت الاحتفالات ممارسات فرجوية شفوية شعبية، تتقاطع وتتداخل خلالها الفنون الأدائية فتنتج إبداعات فنية أدائية كالموسيقى والرقص والدراما مشكلة بذلك عروض فرجوية، ترتبط بظروف محيطها الحضارية وتتفاعل معبرة عن المجتمع وعن قضاياه. باعتبار ان العالم الشعبي يقص تاريخه من خلال تظاهرته الاحتفالية الحية. لذلك عدت هذه الممارسات مجالا رحب لمقربات علمية متعددة الاتجاهات ومتنوعة المناهج والمعارف، تتجاوز المألوف وتأسس لقواعد وقراءات جديدة. لتكون المقاربة الاتنوسينيولوجة Ethnomusicologies الاقرب لباحثين الانثربولوجيا الثقافية لدراسة الاحتفاليات الفرجوية الحية باعتبار ان هذه العروض الادائية الاحتفالية رغم انتشارها وكثرة أتباعها لم تحظ بدراسة علمية تأخذ بعين الاعتبار بمكتشفات العلوم الإنسانية الحديثة كالأنتربولوجيا الثقافية والاتنوسينيولوجي والتي تشمل بدورها دراسة الأخلاقيات وعلم النفس وبيولوجيا الأعصاب والعلوم المعرفية والمهارات الأدائية المادية والغير مادية للنماذج المحلية و"الفرجات المشهدية".

إن الدارسات الاتنوسينيولوجية Ethnoscéniologiques تساهم في خلق ثقافات فنية وتكوين يتصور بأنه يوجد شيء يسمى "ثقافات العالم" (باولو، فيفري ٢٠٠٤، صفحة ١٣). ولعل جملة هذه المعطيات هي التي دفعت ببعض الباحثين إلى الاشتغال بهذا المجال، فدراسة الاحتفالات الفرجوية الحية في فضائها المفتوح الشعبي ضرورة متأكدة، رغم أن العديد من الباحثين المشتغلين بحقل الأنثروبولوجيا الثقافية قد مهدوا طريق البحث والجمع والتصنيف. فأولدت أعمالهم تلك، مناهج لعلها يسرت السبل بقدر المستطاع وأوجدت طريقا للأبحاث الميدانية. وإن دل هذا فإنما يدل على صعوبة الغوص والكشف في مخزون ثقافي يحمل شحنات ودلالات رمزية تعكس بصورة ما التجارب الحضارية الفنية التي تمارسها فئات واسعة من المجتمع. فاهم ما يميز علم الانثروبولوجيا الثقافية وبالتحديد "الاتنوسينيولوجي انه يولي اهتماما كبيرا بدراسة الظاهرة الفنية الحية وسط بيئتها ليبحث في جذورها ونشأتها. الإضافة إلى انه يحاول رصد وفهم الظواهر الإنسانية في سياق معرفة شاملة.

تتناول بالبحث ماضي وحاضر المجتمع الإنساني.

وقد أولى هذا العلم اهتماما بالغا بالممارسات الفرجوية الشعبية، فطور من وسائل البحث والتحليل على اعتبار أن هذه الأشكال الفنية الفرجوية تعد مأثور شعبي يوثق تاريـخ حضاري لمجتمع ما. وفقا لهذا المنظور كان من الضروري التخلي عن البعد الواحد في استراتيجيات البحث العلمي لهذه الموضوعات واعتماد منظور تعدد فيه المقاربات، لدراسة هذه الظواهر والأشكال الفرجوية، من خلال المقاربة السيسيولوجية والسيميولوجيا التاريخية الخ، وبذلك تجاوزت هذه المقاربة مقاربة الانثروبولوجيا الكلاسيكية للمسرح -باعتبار ان هذه الممارسات الاحتفالية يمكن ادراجها ضمن الانماط الشبه مسرحية (ياسر، ٢٠٠٢، صفحة ٦١)-لتهتم بالممارسة الفرجوية الشفوية الحية، من خلال المقاربة **الاتنوسينيولوجية** للفرجة التي تأخذ منظور متعددة الاتجاهات لتهتم بدراسة الفرجات المشهدية لدى الشعوب القديمة، وذلك باعتبارها ظواهر ثقافية اجتماعية وإثنوغرافية، تعبر من خلالها عن رؤيتها للوجود والإنسان والحياة والكون والطبيعة والقيم والمعرفة، كما تعكس كذلك طبيعة التفكير لدى الإنسان القديم، وطريقة تعبيره وتخييله وانفعاله وتحركه، وكيفية تعامله مع الموضوع الخارجي على المستوى الفني والجمالي والفلكلوري.

تدرس الاتنوسينيولوجي الممارسات الفرجوية الحية انطلاقا من "الثقافة الأم"، لكونها ممارسة تتجاوز الدلالات الشعبية والفولكلورية التلقائية إلى ممارسات أدائية فرجوية جماعية تعكس وجدانا وتجربة جماعية تعيشها فئات اجتماعية لها رؤى وشواغل. باعتبارها ممارسة فنية تتداخل فيها جوانب الحياة فهي بذلك "ظاهرة كلية" ونستعير اللفظة هنا من عالم الاجتماع والأنثربولوجي "مارسال موس" فنحن بحاجة إلى دراسات تعتني بتأثير الفنون الادائية على المؤدي وأدائه والمتلقي كعنصر فاعل وفعال في الطقس الاحتفالي.

الخاتمة

ان التوجهات الأساسية لهذه المقاربة والمبحث العلمي الاتنوسينيولوجي تنطلق اساسا من اهمية دراسة الاحتفالات الفرجوية في اطارها الحي، والاقرار بأهمية دراسة هذه الاشكال الفرجوية دراسة متعددة الاتجاهات لا تضعنا في دائرة تكرار واجترار القديم

واعادة عرضه كما هو. فنحن اليوم نحتاج لإعادة فهم هذه الظواهر الادائية كأكاديميين والبحث عن سبل جديدة تجعل من ماثوراتنا الثقافية الشعبية تتماشى والتغيرات الحاصلة في ايقاع الحياة العصرية وهذا يتطلب منا المام بتفاصيل وجزئيات هذه الاشكال الادائية الفنية الشعبية ومن هنا نرى أن كل دراسة عميقة لمخزونات الثقافة الشعبية من شأنها أن تساعدنا على فهم الاحتفالات الشعبية وأبعادها الرمزية والطقوسية.

ان الاتنوسينيولوجي هي محاولة منهجية جادة انبثقت من مناهج الانثربولوجيا الثقافية لتدرس هذه الفرجات الشعبية الحية في فضائها المفتوح.

من خلال تجربتنا البحثية في هذا المجال نرى ان هذه الدراسات مهمة وقيمة واضافت للعلوم الإنسانية عموما ودراسات الانثربولوجية الثقافية، لكن تبقى محاولات بحثية تحتاج الى التجدد على مستوى المناهج والمقاربات لتواكب تطور المجتمعات الممارس والمنخرطة فيما تبقى من هذه الاحتفالات الفرجوية الحية.

فعلى المستوى الاكاديمي فإنه من الضروري إعادة الاعتبار إلى ثقافتنا الشعبية، وتشجيع الطلبة والباحثين على الاشتغال حولها في كل المجالات، وبأساليب ومناهج علمية متجددة تتماشى وطموحات وتطلعات اجيال اليوم، فتعيد لها الاعتبار بوصفها جزء كبير من الهوية الثقافية للفرد .فمعاهدنا ومخابرنا العلمية المختصة اليوم تحتاج الى اعادة دراسة بعض المناهج الدراسية المتصلة بهذه المسالة ومزيد تدعيمها وفتح مجالات لشراكات علمية مع الاختصاصات المتداخلة مع هذه الاشكال الادائية، لتطوريها و التعريف بها والمحافظة عليها خاصة ان هذه الاشكال الفنية المدروسة في بحوث الاتنوسينيولوجية قطعت اشواط كبيرة من الدرس في بلدان عربية مجاورة وخاصة المغرب .وذلك من خلال تأسيس مناهج وتيارات فكرية وفنية ساهمت في التعريف بها واخراجها من ماضي الاباء والاجداد الى حاضر الشباب. وذلك بجعلهم يقبلون عليها من خلال اخراجها من اطارها المألوف (الساحات العامة، الشوارع....) ونقلها الى المسارح وذلك من خلال توظيف هذه الاشكال الفنية في اعمال "ادائية ركحيه" بإخراج مسرحي سينوغرافيا بنفس شبابي يوظف المخزون الادائي الشعبي القديم في اعمال مبتكرة تحمل تصورات تتماشى وعقليات الشباب، وذلك على مستوى

توظيف الحكاية الشعبية والنوادر والنصوص السردية، أو على مستوى أسطرة الحدث الدرامي واستحضار الشخصيات التراثية بما في ذلك الشخصيات المألوفة كـ "الراوي" او "الاركوز"، الذي وإن كان مجرد ممثل يعمل في فضاء "الحلقة"، فإن بإمكانه أن يعبر عن موقف تاريخي أو سياسي في العمل المسرحي.

وقد طرح عدة باحثين في هذا المجال هذا الاشكال الفرجوية "الحية" بالتحليل والدرس وأبرزهم الباحث"سمير البشه" الذي صنفها ضمن مسالة التثاقف والمثاقفة في الاعمال الفنية وبالتحديد المثاقفة بين الشكل الفني الموسيقي والعناصر التراثية. وقد اثبت ان هنالك ثنائية تطابق بين "الفرجة الشعبية" و"التنظيرات الغربية "، فجاءت هذه الاعمال في صياغة تعبيرية فرجوية تعتمد اعادة التراث الفرجوي الشعبي، مع اضافة عناصر فنية مسرحية وموسيقية حركية بالأساس، ولكن بنسب متفاوتة. فالأعمال التي انجزها كل من "فاضل الجزيري" و"سمير العقربي"، المتمثلة في عرض "النوبة" و"الحضرة" و"صفاء" تظهر من خلال تشبع العمل بمعطيات المسرح الغربي وتقنياته. (سمير، ديسمبر٢٠٠٧، صفحة ٣٣٤)"

كما دفع بالبعض الاخر من رواد الفنون الركحية الحية من هذه التيارات المسرحية الحديثة وعلى راسهم "عبد الكريم برشيد" إلى الدعوة إلى استبدال المسرح الغربي بالمسرح العربي الأصيل، وذلك بفضاءاته الاحتفالية الدائرية، والتي تتمثل على سبيل الخصوص في الحلقة، والأسواق، والفضاءات العامة، وكل ذلك من أجل خلق علاقة احتفالية حميمية بين الممثل والمتفرج، بدلا من خلق انفصال بين الخشبة والراصد:" وباختفاء التمييز بين المتفرج وصندوق التفرج وبين المشاهِد(بالكسر) والمُشاهد، بين الواقعي والوهمي، فقد كان لابد أن نراجع كل البناء المسرحي التقليدي وأن نفكر بالتالي في تأسيس فضاء جديد يمكن أن يستوعب الاحتفال المسرحي، ويبعده عن أن يكون طقوسا في كنيسة أو فرجة أمام صندوق سحري، أو تجمعا رسميا في بناية رسمية."

قائمة المراجع

الأحول، نسرين. (٢٠١٣). مقاربة إثنولوجية للاحتفالات الشعبية في منطقة القطار: منتدى لباس العروس – حضرة العيساوية – احتفالات عاشوراء أنموذجًا (أطروحة دكتوراه غير منشورة). المعهد العالي للموسيقى، تونس.

باشا، سمير. (٢٠٠٧). التثاقف والتلاقح في تجارب الغناء الشعبي التونسي (١٨٥٦–١٩٩٨): دراسة تحليلية موسيقية ومشهدية (أطروحة دكتوراه). المعهد العالي للفنون الجميلة، تونس.

شاكر، بشرى. (٢٠٠٢). مقاربة إثنولوجية للحلقة. في: الرافد: الفجوة بين المسرح والأنثروبولوجيا: مقاربات نقدية على هامش ندوة المسرح والدراما بجامعة تطوان. منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.

عبد الواحد، ياسر. (٢٠٠٢). حدود الأشكال التقليدية للفرجة: الفرجة بين المسرح والأنثروبولوجيا. في: الفرجة بين المسرح والأنثروبولوجيا (سلسلة أعمال الندوات، رقم ٨). منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان.

سكارنيكيا، باولو. (٢٠٠٤). الموسيقى الشعبية والموسيقى الراقية (ترجمة عبد السلام السماعي، ط١). منشورات ألف المتوسطية، تونس.

قائمة المراجع الاجنبية

Al-Ahwal, N. (2013). An ethnological approach to popular celebrations in the Qattar region: The bride’s costume forum, Issawiya rituals, and Ashura celebrations as a case study (Unpublished doctoral dissertation). Higher Institute of Music, Tunisia.

Basha, S. (2007). Acculturation and cultural interaction in Tunisian folk singing experiences (1856–1998): A musical and scenic analytical study (Doctoral dissertation). Higher Institute of Fine Arts, Tunis.Shaker, B. (2002). An ethnological approach to the halqa. In Al-Rafid: The gap between theatre and anthropology—Critical approaches on the margins of the Theatre and Drama Symposium, University of Tetouan. Department of Culture and Information Publications, Sharjah.

Abdulwahid, Y. (2002). Limits of traditional spectacle forms: Spectacle between theatre and anthropology. In Spectacle between theatre and anthropology (Seminar Proceedings Series No. 8). Faculty of Arts and Human Sciences Publications, Tetouan.

Scarnecchia, P. (2004). Popular music and high art music (A. Al-Sammai, Trans., 1st ed.). Alif Mediterranean Publications, Tunisia.